

**اكتساب الطلبة  
الكفايات الضرورية  
للقرن الحادي  
والعشرين:  
التحدّي الأكبر  
لأنظمة التعليم العالي  
في الدول العربية**

**مقدمة**

يطيب لي في بعض الأحيان أن أقول إنّ على عامل البلدية الذي يعنى بجمع النفايات المنزلية أن يكون، في الغد القريب، حامل شهادة تعليم ثانوي، حتى يتمكّن من التكيف مع متطلبات القرن الحادي والعشرين. ذلك أن هذا العمل سيتطلب تصنيف هذه النفايات بين قابل لإعادة التصنيع وغير قابل لذلك، بين النفايات الكيميائية التي تفرض معالجة خاصّة والنفايات غير المؤذية، الخ... وتلك هي الحال أيضاً للأغلبية الساحقة من الأعمال في أي ميدان كان.

فمن جهة، مهما تقدمت تقانات المعرفة والإنتاج والخدمات، سنظل بحاجة إلى عمال في مهن تعتمد بشكل أساسي على جهد الإنسان. ومهما تقدمت هذه التقانات، فإن القطاعات الاقتصادية التقليدية، مثل الزراعة، والكهرباء، والإلكترونيات، والميكانيكا ومشاكل المعادن، والهندسة، والإدارة، والعناية الصحية، والتربية، الخ...، ستظل تشغل مركزاً أساسياً في سوق العمل، بينما ستبقى المعلوماتية وصناعات الاتصال والمعلومات وتطبيقاتها هامشية بالنسبة لعدد الوظائف المتاحة.

إلا أنّ سيطرة الوظائف في القطاعات الاقتصادية التقليدية يجب ألا تخفي عن الأذهان

رمزي سلامه (\*)

(\*) خبير التعليم العالي في مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية - بيروت.

أن كثيرا من قطاعات العمل هذه أصبحت تعتمد كثيراً على المكونات التقنية والعلمية، بحيث علينا أن نتساءل ما إذا كان اقتصاد المعرفة، الذي تخطو بعض المجتمعات نحوه بخطى ثابتة ومتسارعة، يستدعي تركيز الاهتمام على وقع التقدم التقني والعلمي على طبيعة الحرف والمهن أو على الكفايات.

في الواقع، تشير المهنة أو الحرفة إلى نشاط أو وظيفة أو عمل نمارسه. ولتأدية أي عمل لا بد من القيام بجهد منظم. وليس هناك من جهد منظم من دون فكر وإشغال للعقل. وهكذا، تفرض ممارسة أي مهنة أو حرفة امتلاك مجموعة محدّدة من الكفايات، أي من المعارف، والمهارات، والمواقف وما إليها، التي تجعل المرء قادراً على تنفيذ عمل ما، مع ما يتطلبه هذا التنفيذ من مراحل، بما في ذلك التخطيط والتقييم.

ولذلك، بقدر ما أصبحت الأعمال والوظائف تعتمد أكثر فأكثر على مكونات تقانية، بقدر ما لم يعد بالإمكان الاكتفاء بأن يتمتع طالبو العمل بقدرات تقنية أو علمية فحسب. وبذلك، تشتد الضغوطات نحو امتلاك كفايات متنوعة أكثر منه نحو اكتساب معارف محددة.

ينبغي بالتالي تحطّي تصنيف الوظائف والمهن ومحاولة التعرف على الكفايات أو مجموعات الكفايات التي أصبحت ضرورية للنجاح في عصر المعلومات واقتصاد المعرفة. بالإضافة إلى ذلك، يتكهن البعض أنّ عصر المعلومات سوف يفرض على كلّ فرد تغيير مهنته أكثر من مرّة في حياته. فحري بالتالي البحث عن الكفايات العامّة التي توفّر لكلّ فرد مكاناً في المجتمع مهما تبدلت مهنته أو تطوّرت متطلبات القيام بها.

## ١- تحديد الكفايات المطلوبة في اقتصاد المعرفة:

إن من أهم الانعكاسات الاجتماعية لتطور تقانات الاتصال والمعلومات ولتحديات اقتصاد المعرفة يكمن في ضرورة امتلاك كل فرد من أفراد المجتمع مجموعة من الكفايات التي بدونها سيكون خارج عصره. ويتعين اكتساب هذه الكفايات منذ الصغر وتضمينها في الأهداف التربوية في جميع مراحل التعليم وأنواعه. ولكن للتعليم العالي دوراً أساسياً يؤديه في هذا المضمار، من جهة تجاه مرتادي مؤسساته، ومن جهة ثانية تجاه المجتمع ككل.

ونعرض في ما يأتي إلى فئات خمسة من هذه الكفايات تتضمن ما نظنه ضروريا لكل فرد.

#### أ- الكفايات الأساسية:

الكفايات الأساسية هي تلك التي تشكّل ركائز المشاركة الفاعلة في الحياة المنتجة، مهما كان ميدان العمل الذي يمارسه الفرد. وهي تتكوّن من كفايات ذات طبيعة ذهنية وما إليها، وأخرى ذات علاقة بالشخصية، وغيرها علائقية واجتماعية.

- **الكفايات الذهنية واللغوية:** كثيرا ما يردّد أن التعليم في الدول العربية، بما في ذلك التعليم العالي، يعتمد بشكل أساسي على التلقين الذي لا ينمي بشكل كاف مهارات التحليل والتفكير المنطقي وحل المسائل والتوليف، وما إلى ذلك من مهارات عقلية عليا، نسبة إلى مهارات الذاكرة وحفظ المعلومات. كما أنه يلاحظ أن كثيرا من مؤسسات التعليم العالي لا تفرض على الملتحقين بها أو على خريجها امتلاك أي لغة أجنبية.

إن الدخول إلى اقتصاد المعرفة يفرض على كل فرد، بدءاً بطلبة التعليم العالي وخريجي مؤسساته، امتلاك مهارات عقلية عليا كتلك التي سبقت الإشارة إليها أعلاه، كما يفرض امتلاك مهارات من مستوى مقبول على الأقل، في لغة أجنبية أو في اثنتين، بالإضافة إلى امتلاك اللغة الأم على مستوى عال لتكون لغة تعبير، وإنتاج علمي وثقافي، وإبداع، وتحتل، بذلك، مكاناً مرموقاً بين لغات الأمم، إن في وسائل النشر التقليدية أو على الشبكة العالمية للمعلومات.

- **الكفايات في ميدان المعلوماتية:** هناك نزعة على الصعيد العالمي بجعل القدرة على استخدام المعلوماتية والشبكة العالمية للمعلومات موجب لكل طالب من طلبة التعليم العالي منذ بدء دراسته. وقد وضعت فرنسا مؤخراً برنامجاً يعترف للتلامذة في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة بمؤهلاتهم في ميدان المعلوماتية ويتوّج بشهادة بمستويين تعرف بشهادة المعلوماتية والإنترنت، تضمن لكل من ينهي التعليم الأساسي امتلاكه للكفايات الأساسية في المعلوماتية. كما أن هناك برنامجاً دولياً يمنح شهادة في استخدام المعلوماتية تتمتع باعتراف دولي بناء على امتحانات مقننة تنطبق للكفايات الأساسية المتوقعة في هذا المجال. وفي رأينا أن على كل مؤسسة للتعليم العالي في الدول العربية أن تجعل امتلاك القدرة على استخدام

المعلوماتية والانترنت شرطاً من شروط التخرج لكل طالب وطالبة، إن لم يكن شرطاً من شروط القبول أو متابعة الدراسة.

ولا يكفي في هذا القبيل امتلاك المهارات الأساسية في المعلوماتية، مثل طباعة النصوص، واستخدام البيانات، وتنفيذ الرسوم، وما إلى ذلك. بل يجب أن يتعداها إلى القدرة على البحث عن المعلومات حيثما وجدت، على الشبكة العالمية أو غيرها، والقدرة على اختيار الصالح مما هو متوافر، والقدرة على إدارة هذه المعلومات ومعالجتها واستخدامها لحل المسائل التي تعترض الفرد أو تطرح عليه.

– **كفايات التكيف:** على الصعيد الشخصي، هناك كفايات من نوع جديد يتطلبها التكيف مع البيئة التقنية الجديدة. ومن ذلك القدرة على التعلم الذاتي المستقل، والحفاظ على الاندفاع والنشاط والمثابرة وبذل الجهد بالرغم من الضغوط التي تتأتى من التنافس الذي تفرضه العولمة ومن الاحباطات التي تحملها التقانات الجديدة في طياتها، ومن هذه الاحباطات مثلاً وابل البريد الالكتروني غير المرغوب به، صعوبات الاتصال بالانترنت، المعلومات غير المناسبة أو غياب المعلومات المطلوبة من قواعد المعلومات المعروفة، الخ...

– **الكفايات العلائقية والاجتماعية:** أما على صعيد العلاقات مع الآخرين، فإن أهم ما تتطلبه البيئة الجديدة يتمثل بالقدرة على تحمل المسؤولية، والتعاون مع الآخرين، والعمل ضمن فريق، والتواصل بسهولة وفعالية، والتكيف مع المتغيرات، الخ...

بالحقيقة، خلافاً لما قد يظنه البعض، فإن للكفايات العلائقية والاجتماعية أهمية خاصة في بيئات العمل التي تعتمد بشكل أساسي على تقانات الاتصال والمعلومات الحديثة، بسبب الارتباط المتبادل بين العاملين وكأن العمل أصبح يشبه العزف ضمن أوركسترا سيمفونية حيث لا يسمح لأي عازف أن يخطئ، أو كأنه أصبح يشبه فريق تصوير سينمائي حيث ينعكس ضعف أي عضو في الفريق على النتائج بأسره.

ب- **الكفايات التقنية:** تتضمن الكفايات التقنية تلك الكفايات المهنية والعلمية الخاصة بمهنة معينة، أو بصناعة، أو بخدمة، أو بمجموعة من الصناعات أو الخدمات، كما يحددها أهل الاختصاص. وهي تجسد القدرة على تنفيذ مهام متخصصة تخص هذه المهنة أو الصناعة أو قطاع العمل.

ويفرض عصر المعلومات أن تتحول هذه الكفايات أكثر فأكثر من المعارف البحتة التي تخص ميدان الاختصاص إلى مهارات العمل وكفايات التطبيق، إذ أن المعلومات والمعارف أصبحت أكثر فأكثر متوافرة في قواعد المعلومات التي يمكن الولوج إليها من خلال الشبكة العالمية للمعلومات، كما أن هذه المعلومات في تغير مستمر لا يستقيم معه حفظ هذه المعارف والبقاء عليها لفترات طويلة.

من ناحية أخرى، لا يمكن، في البيئة العلمية المعاصرة، أن يكتفي أي صاحب مهنة بتطبيق آلي للكفايات التي اكتسبها، بل عليه تكييفها وفقاً للحالات المعاشة وللمستجدات. ولذلك، فإن على كل صاحب اختصاص أن يتحلى بالانفتاح على سائر العلوم والميادين ليستطيع أن يستقي منها ما يناسب الحالات التي يواجهها. وهذا بالطبع عكس ما يظنه البعض من ضرورة التخصص الدقيق بشكل مبكر.

**ج- كفايات الإدارة:** تتضمن كفايات الإدارة القدرة على التخطيط، والتنظيم، والتقييم. كما تتضمن القدرة على إدارة الوقت، والموارد البشرية والمادية والمالية، على الأقل في ميدان العمل الذي يمارسه الفرد وفي حياته اليومية.

لكن عصر المعلومات يفرض أيضاً أن تتضمن كفايات الإدارة القدرة على إدارة المعلومات، تلك التي يستخدمها الفرد، أو التي ينتجها أو التي يتلقاها. فإن الانتقال من عصر غوتنبرغ، الذي ساد فيه الورق والمواد المطبوعة، إلى عصر ما بعد ماركوني، الذي تسود فيه المعرفة الرقمية، ينبغي على كل فرد يستخدم الحاسوب أن يمتلك بشكل كاف المهارات اللازمة لإدارة هذه المعرفة، وعلى وجه الخصوص، تصنيف المعلومات وفهرستها وطرائق حفظها واسترجاعها وما إلى ذلك من عمليات التوثيق الأساسية. ولذلك فإن أي تدريب على استعمال الحاسوب يجب أن يتضمن هدف اكتساب هذه الكفايات.

**د- كفايات القيادة:** إن التنافس الشديد التي تفرضه العولمة واقتصاد المعرفة يفرض على أي صاحب مهنة أن يتحلى بكفايات قيادية، من القدرة على المبادرة وقبول المخاطرة المدروسة إلى المهارة في دفع الآخرين نحو الإنجاز وتحسين الأداء، مع الحفاظ على التناغم بين أعضاء الفريق وعلى نوعية حياة جيدة. ويدخل أيضاً في هذا السياق أخذ المبادرة للتجديد التقني ومواكبة المستجدات أو اقتراح ذلك والعمل على تحقيقه.

**هـ- الكفايات الوضعية:** نعني بالكفايات الوضعية تلك الكفايات التي تساعد على الانخراط في محيط عمل معين وعلى التكيف مع متطلباته. في الاقتصاد التقليدي، كما في المجتمعات التقليدية، تكون هذه الكفايات محددة مسبقا يتناقلها الناس بعضهم عن بعضهم الآخر. أما في إطار العولمة فقد أصبحت القدرة على التأقلم مع وضعيات مختلفة ضرورية أكثر فأكثر، بسبب الحراك المتزايد من مهنة إلى أخرى، أو من مؤسسة إلى أخرى، أو من مجتمع إلى آخر، أو من بلد إلى آخر. ولذلك يتعين على كل فرد أن يتحلى بكفايات عامة تساعد على التكيف مع المتغيرات؛ ومن ذلك المرونة، وتقبل المجهول والتعاطي معه بإيجابية، والاستقلالية العاطفية المسهّلة للحراك، الخ...

## ٢- تطوير النظم التربوية لتحقيق اكتساب كفايات اقتصاد المعرفة:

هل أن الأنظمة التربوية في الدول العربية جاهزة لمواجهة متطلبات عصر المعلومات واقتصاد المعرفة الذي أدت إليه الثورة التقنية والعلمية؟ الواضح مما سبق أنها ليست بعد جاهزة لذلك. وعليها أن تقوم بمواجهة عدد من التحديات بهدف جعل الأشخاص قادرين على التكيف مع هذه البيئة الجديدة.

ومن أهم ضرورات التطوير ما يأتي:

- تطوير التعليم الأساسي ومدّه إلى أبعد ما يمكن بحيث يؤدي إلى امتلاك جميع الناشئين الكفايات الأساسية اللازمة للنجاح في اقتصاد المعرفة والكفايات الخاصة بالتعلم مدى الحياة؛
- القيام بتغيير جذري للمؤسسات التعليمية على جميع الأصعدة بحيث تتحول من محيط تعليم إلى بيئة تعلم وتفتح للشخصية من جميع نواحيها؛
- خلق شراكات واسعة النطاق ما بين المؤسسات التعليمية، خاصة في مرحلتي التعليم الثانوي والتعليم العالي، وعالم العمل، وجعل الأنشطة التطبيقية في مؤسسات العمل متاحة إلى أبعد حد بل شرطاً من شروط التخرج؛
- اعتماد آليات لضمان نوعية خريجي التعليم في جميع مراحلها، ومنها القيام بتقييم دوري لدرجة اكتساب التلامذة والطلبة للكفايات المطلوبة في جميع المراحل التعليمية، لتقويم المسار كلما دعت الحاجة وقبل فوات الأوان؛

- تأهيل الموارد البشرية في الإدارات والمؤسسات العامة، وفي المؤسسات التعليمية على جميع مستوياتها، ومؤسسات الإنتاج والخدمات، لمواجهة تحديات اقتصاد المعرفة، بدءاً بالتعلم على استخدام الحاسوب على أوسع نطاق، وتأمين امتلاك جميع العاملين في المؤسسات لكفايات الإنتاج والتطوير في إطار اقتصاد المعرفة ومجتمع التعلم.

من أجل ذلك، لا بد من القيام بتغييرات جوهرية في آليات وضع السياسات التربوية والتخطيط والإدارة على جميع الأصعدة.

ويشكل تأمين موارد بشرية كفاء، وخاصة في سلك التعليم، إحدى الركائز الأساسية لرقى التعليم إلى المستوى المطلوب الذي تمليه العولمة والتقدم المستمر في تقانات الاتصال والمعلومات. ومن أجل ذلك يتعين بالأخص ما يأتي:

- رفع مستوى مؤهلات المعلمين في جميع مراحل التعليم إلى المستوى الجامعي مع التشديد على الانتقال من التعليم بالتلقين إلى التعلم بالاكشاف والبحث والأنشطة التعاونية وما إلى ذلك من أساليب التعلم النشط؛

- تأمين العدد الكافي من المعلمين الكفاء المختصين بالرياضيات، والعلوم والتقانة والحاسوب في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي؛

- تحسين اختيار الطلبة في الاختصاصات العلمية والتقنية في التعليم العالي ووضع آليات لتشجيع الكفاءات الواعدة لمتابعة الدراسات العليا لتشكل طلائع المستقبل؛

- اعتماد الخطط المناسبة لمدى مؤسسات التعليم العالي بالأساتذة الكفاء، وخاصة في ميادين التقانات الحديثة.

## خاتمة

يتطلب تطوير الأنظمة التربوية في الدول العربية، ولا سيما أنظمة التعليم العالي، لتتماشى مع متطلبات القرن الحادي والعشرين وتحديات اقتصاد المعرفة، قيام السلطات المختصة والقيمين على المؤسسات بخطوات جريئة، منها جعل امتلاك مهارات استخدام الحاسوب والانترنت شرطاً من شروط التخرج لكل طالب مهما كان ميدان تخصصه، إذا لم يكن شرطاً من شروط الالتحاق أو متابعة الدراسة. وكذلك هو الأمر بالنسبة لامتلاك اللغات الأجنبية وأنشطة التربية العملية والتدريب في

مؤسسات الإنتاج والخدمات. وفي رأينا أن هذه الشروط الثلاثة تشكل مقدمة أساسية لتطوير جذري من شأنه أن يطال سائر الكفايات المطلوبة في عالم اليوم من مهارات عقلية عليا، واستقلالية في التعلم، وكفايات الاتصال والإدارة والقيادة، وما إلى ذلك.

وبدون مثل هذه الخطوات، نخشى أن يبقى التعليم عامة، والتعليم العالي خاصة، أسير التقاليد، ويبقى خريجوه أسرى التلقين والتعليم العقيم، غير قادرين على مواجهة متطلبات العولمة وتقدم التقانات وعلى النهوض بمجتمعاتهم، إلا تلك القلة القليلة منهم التي لم تكن يوما تنتظر من أنظمة التعليم أكثر من ألا تسد أمامها الطريق.